

ما علاقة الصليب
بنا

Hans-Jörg Ronsdorf

بسيط.
واضح.



لماذا كان على يسوع أن يموت؟

لماذا كان على يسوع أن يموت؟

ما علاقة الصليب بنا

Hans-Jörg Ronsdorf

الطبعة الأولى، أكتوبر 2026، زولتسبرغ (Sulzberg)
جميع الحقوق محفوظة
تصميم الغلاف: كريستينه رونسدورف (Christine Ronsdorf)
كلمات الكتاب المقدس منقولة بتصرف
للطلب والأسئلة والتواصل: hj-ronsdorf@t-online.de

لكن الله يُظهر محبته لنا في هذا: أن المسيح مات من أجلنا ونحن بعدُ خطاة.

رومية 5: 8

هذا الكتاب الصغير يتتبع سؤالاً واحداً فقط: لماذا يُفترض أن يساعدني اليوم موتُ رجلٍ مات قبل ألفي سنة؟ إنه مكتوب لقراء لا تربطهم بالكنيسة صلة كبيرة. خطوة خطوة، بكلمات بسيطة.

المحتويات

6	1 سؤال بسيط
8	2 ما الخلل فينا
11	3 كيف هو الله حقًا
14	4 لماذا الدم؟
16	5 ماذا قال يسوع نفسه
18	6 ثلاث جمل صعبة
21	7 كيف يخلصنا موته
25	8 لماذا ينتمي عيد القيامة إلى القصة
27	9 الخبر السار

1 سؤال بسيط

قبل ألفي سنة أُعدم رجل. خارج المدينة، أمام أسوارها. على عارضة خشبية، على صليب من خشب. أمام متفرجين فضوليين اعتادوا العنف. هكذا مات كثيرون في ذلك الزمان. قتل الرومان الآلاف، وصلبوا كثيرين. ميتات بلا معنى.

لكن عن هذا الرجل الواحد يقول المسيحيون حتى اليوم جملة غريبة. يقولون إنه مات من أجلنا. ماذا يعني هذا: من أجلنا؟ ما الذي يجعل هذا الموت الواحد مختلفاً؟

كان هناك، وما زال، أناس يموتون من أجل غيرهم. حين لا يستطيعون أن ينقذوا الآخرين من الموت إلا بهذه الطريقة. لا يستطيع الإنسان أن يعمل شيئاً أعظم من أن يبذل نفسه من أجل الآخرين. لكي يحياهم.

في الماضي، قبل أن توجد اللقاحات، كان الأطفال يَمُتُّون بمرض الخناق (الدفتيريا). كانت طبقة لزجة تنمو في الحلق حتى تسدّه. أحياناً لم يكن ينفع إلا شيء واحد. كان الطبيب يدخل أنبوباً صغيراً، ويمتص الطبقة بفيه هو. فيعود الطفل يتنفس. أما الطبيب فقد صار الممرض الآن فيه. وبعض الأطباء ماتوا بسببه.

الطبيب لم يساعد فقط. لقد أخذ إلى داخله ما كان يقتل الطفل. خرج الممرض من الطفل ودخل في الطبيب.

هنا بالضبط يبدأ السؤال. إن كان يسوع قد مات من أجلنا: فمن أي شيء خلّصنا؟ إن نقلنا هذه الصورة إلينا، فما هو المرض، وأين كان؟

معظم الناس لا يشعرون بأي مرض. يعيشون، ويعملون، ويحبّون، ويبذلون أفضل ما عندهم. مرض؟ أين؟ وحتى لو كان هناك مرض، فلماذا يشفيه موت رجل مات قبل ألفي سنة؟ رجل مات في أورشليم. وأنا أعيش هنا.

ما علاقة صليبه بي؟ هذا ليس سؤالاً ساذجاً. إنه أهم سؤال يمكن أن يُطرح على المسيحية. لا أريد في هذا الكتاب الصغير أن أفعل شيئاً سوى أن أحاول الإجابة عن هذا

السؤال الواحد. خطوة خطوة. أولاً: ممَّ نعاني؟ ثم: من هو الذي يأخذه عنا؟ ثم: ماذا يحدث له؟ وأخيراً: كيف يصل ذلك إليّ أنا؟

أحد المسيحيين الأوائل قال هذه الجملة مرة بدقة أكبر. كتب أن يسوع حمل ذنبا في جسده هو، هناك على الخشبة، على الصليب. وأتينا بجراحه شُفينا.¹

احفظ ثلاث كلمات من هذه الجملة:

حمل. جسده. شفاء.

سنتوقف عندها قليلاً.

2 ما الخلل فينا

لن أبدأ بالله.

الكلام عنا نحن.

لم يستطع أحد منا أن يختار من يلدّه، ولا أين يولد. وفي أي ظروف رمتنا الحياة، لم يكن ذلك قرارنا. وحتى المكان الذي نقف فيه اليوم، لم نخدده نحن في الغالب.

لم يعد الكلام الآن عن مرض جسدي كمرض الطفل في الفصل الأول. الكلام عن مرض لا يُلبس، وعن الطريقة التي نشعر بها به: فراغ، وفقدان المعنى، وشعور بالذنب، وانكسار، وطريق مسدود، وقيود، ويأس. لا أحد يريد أن يشعر بشيء من هذا كله. لكن من يتوقف بصدق قد يلاحظ مشاعر كهذه أو ما يشبهها.

غالبًا ما تأتي في لحظة هادئة. في الليل، حين لا تستطيع أن تنام. عند قبر. أو حين يتوقف إنسان عن الكلام معك. عندئذ يكون هناك شيء لا تستطيع أن تزيحه جانبًا.

لكل إنسان شيء لم يعد يستطيع إصلاحه. كلمة قيلت. باب أغلق بعنف. إنسان مات قبل أن نتصالح معه. غش لم يلاحظه أحد، لكنك أنت لا تنساه أبدًا.

تستطيع أن تفعل أشياء كثيرة. تستطيع أن تعترف بالخطأ. تستطيع أن تعتذر. تستطيع أن تعوّض الضرر حيث يمكن ذلك. تستطيع أن تعزم ألا تفعله مرة أخرى أبدًا.

لكن الاعتراف يأتي متأخرًا. والاعتذار لم يعد يصل إلى الآخر. والضرر لا يمكن تعويضه، لأنه لا يوجد مال يكفي لذلك. أو لأن التعويض غير ممكن أصلاً. والعزم لا يصمد إلا حتى المرة التالية.

وحتى لو نجح كل شيء، يبقى شيء. الأمر قد حدث. إنه قائم في العالم. ولا يوجد تعويض يجعله كأنه لم يحدث.

حتى الآن نظرنا إلى أنفسنا نحن البشر فقط. فماذا لو كان الله هو خالقنا؟ لسنا نحن من خلق العالم. ولا قوانين الطبيعة. ولا القواعد أو الشروط التي تحدّد كيف نتعامل مع

الذنب، أو كيف نتخلص منه فعلاً. إنه عالم الله الذي ولدنا فيه. وحتى لو ظننا غير ذلك: لسنا نحن من يحدّد القواعد.

كل ما ذكرته أعلاه نستطيع أن نشبهه بمرض قاتل. وللكتاب المقدس كلمة قصيرة لهذا: الخطيئة.

كلمة «الخطيئة» صارت مستهلكة. كثيرون لا يسمعون فيها إلا وعظاً أخلاقياً وإصبعاً مرفوعاً للتهديد. لكن المقصود شيء قريب جداً من الحياة. الكلمة التي يستعملها الكتاب المقدس معناها حرفياً: أن تُخطئ الهدف. مثل سهم لا يصيب.

فانخطيئة تعني إذن: أنا لست من يجب أن أكون. وقد فعلت ما لم يكن يجب أن يكون. والأمران مرتبطان معاً. الكلمة تعني الأفعال. وهذه يمكن عدّها. وتعني أيضاً جزءاً من كياننا، منه تخرج هذه الأفعال. وهذا لا يمكن عدّه. لكن كل واحد يعرفه. تعزم على شيء، ثم تفعل عكسه. كأنها قوة تدفعنا. من الداخل، ومن الخارج أيضاً.

الآن تأتي جملة يصعب سماعها. إنها تنطبق على الجميع. وعليّ أنا أيضاً.

الكتاب المقدس يقولها هكذا: الجميع أخطأوا، ولا يطابقون مجد الله.² وهذا يعني: لا أحد هو، ولا أحد يصير، ما خلقه الله له في الأصل.

أنا لا أتهم أحداً، ولا أشتكي على أحد. في النهاية يقف كل إنسان أمام نفسه. والهروب من النفس ينتهي في وقت ما. الأفضل أن تتوقف وتكون صادقاً: هل هناك قيود، وفراغ، وفقدان معنى، وذنب، ووحدة، وانكسار، وعنف، وتعديّات؟ هذه كلها مثل الحمى. لكن الحمى ليست هي المرض. إنها تظهر أن هناك مرضاً، وأن شيئاً ما ليس على ما يرام.

وراءها يختبئ المرض. إنه ليس صاحباً. يعمل بهدوء. ولا توجد درجة تستطيع عندها أن تفلت منه. لأن الذنب لا يقع على الآخرين فقط، ولا هو خارج عني. إنه في داخلي. في حياتي، في قصتي، في ما أنا عليه.

أحد الفلاسفة سمّى ضميرنا مرة قاعة محكمة. فيها ثلاثة أصوات: مدّع، ومحام، وقاضٍ. والثلاثة يتكلمون في داخلنا. المدّعي يعدّد ما فعلناه. والمحامي يبحث عن أعذار. والقاضي

ينطق بحكم لا نستطيع أن نتهرّب منه. هذه القاعة لا يحتاج أحد أن يشرحها لنا. نحن نحملها معنا أينما ذهبنا.

لهذا لا تكفي مجرد كلمة. حين يقول لي أحد: «انسَ الأمر، لا بأس»، فهذا لطف منه. لكنه لا يجعلني إنساناً آخر. ولا يجعل ما حدث كأنه لم يحدث. لا يشفي طبيب طفلاً بأن يقول: «الأمر ليس بهذا السوء».

إذن نحن نحتاج إلى أمرين. أن يُغفر لنا. وأن يخرج ما في داخلنا وينتهي. أحدهما بدون الآخر لا ينفع.

3 كيف هو الله حقًا

لا نستطيع أن نخرج من هذا الوضع بدون الله. وجودنا لا يمكن تصوّره بدون الله. سواء آمنّا بذلك أم لا.

قبل كل شيء: سوء فهم لا بد من توضيحه.

كل إنسان تقريباً يحمل في رأسه صورة عن الله. حتى من لا يؤمن. وغالباً ما تكون صورة مراقب صارم. واحد يرى كل شيء ولا ينسى شيئاً. بعضهم تعلموا ذلك في طفولتهم هكذا: «الله الطيب يرى كل شيء». ولم يكن ذلك يبدو تعزية. بل كان يبدو تحذيراً: انتبه!

وإن طبّقنا هذه الصورة على صليب يسوع، صار الكلام هكذا: الله يريد العقاب. ويسوع ألقى بنفسه في الوسط، لكي يقع العقاب عليه لا علينا. الابن هدأ الآب الغاضب.

كثيرون سمعوا الأمر هكذا، حتى في الكنائس. وبعضهم تركوا الكنيسة بسبب ذلك. فمن يريد أن يثق بإله يجب أن يرى الدم أولاً قبل أن يصير لطيفاً؟

في هذا شيء من الحق. الله يرى ما نفعله. وهو لا يمسخ شيئاً ببساطة. لكن الباقي غير صحيح. من يبدأ بهذه الصورة يفهم كل شيء خطأ في النهاية. هذه الصورة صورة مشوهة. أو على الأقل صورة ناقصة.

ماذا لو كان الله مختلفاً تماماً؟ لننظر من الذي يأخذ الخطوة الأولى في الكتاب المقدس. ليس الإنسان أبداً. إنه الله دائماً. هو يبحث عن آدم في الجنة بعد أن اختبأ. هو يدعو إبراهيم. هو يُخرج شعبه من العبودية في مصر، قبل أن يعطيه وصية واحدة. وأخيراً يرسل ابنه.

إحدى أشهر جمل الكتاب المقدس تقولها هكذا: لقد أحبّ الله العالم إلى هذا الحد، حتى إنه أعطى ابنه.³

ليس الابن هو من انتزع المحبة من الآب. بل الآب أعطى الابن لأنه أحبّ. تماماً كما جاء الطيب في الفصل الأول لأنه أراد أن يساعد. لا لأن أحداً أوقعه.

3. يوحنا 3: 16

فكيف يتعامل الله إذن مع ما فعلناه بالآخرين، وبذلك به هو؟ لنبدأ مرة أخرى بأنفسنا. تخيل أن أحداً جرحك. جرحاً عميقاً. أمامك طريقان. تستطيع أن تردّ له الصاع، أو تستطيع أن تغفر.

ماذا يعني أن تغفر؟ لا يعني أن الجرح قد زال. بل يعني أنك تحمل الضرر بنفسك، بدلاً من أن تردّه إلى الآخر. من يغفر يدفع. دائماً. هذا هو ثمن الغفران. ولا يدفعه المذنب، بل الذي يغفر.

هذه هي الخبرة بين البشر. وماذا عند الله؟ في العهد القديم، أي الجزء الأول من الكتاب المقدس، يقول الله لشعبه:

لقد أتعبتني بخطاياك. أنا، أنا هو الذي يحو معاصيك من أجل نفسي.⁴

الأمران يقفان جنباً إلى جنب. الخطية تُعب الله. هو يحملها. وهو يحوها. لا لأننا نستحق ذلك. بل لأنه هكذا. ليس القاضي الذي يتربّص بخطأ. بل الذي يحمل الحمل قبل أن تنتبه بزمان طويل إلى أننا وضعناه عليه.

لكن هذا نصف الحقيقة فقط. الله لا يتصرّف كأن شيئاً لم يحدث. فإنه يغضّ النظر عن كل شيء لن يكون إلهاً صالحاً. بل سيكون غير مبال. حين يقع ظلم على طفل، ننتظر أن يأخذ أحد هذا الأمر بجدية. والله يأخذه بجدية. يأخذ كل شيء بجدية. الظلم الذي فعلته أنا، بالجدية نفسها التي يأخذ بها الظلم الذي وقع عليّ.

السؤال هو: هل الله عادل وهو يحمل الخطية ويحمّلها؟ هل هو غير منحاز، وثابت في ما يفعل؟ هل سيضع كل شيء في نصابه الصحيح، الماضي والحاضر والمستقبل؟ هذا يخص الجميع، ويخصّ كل واحد. هل يمكن يوماً إصلاح الضرر الذي سببه فشلنا - أي خطيتنا - إنه أمر لا يتصور، ولعله لا يحدث إلا بمعجزة لا نتصور.⁵

كل هذا معاً يقودنا إلى الصليب. إله صارم فقط لن يحتاج إلى صليب. كان يستطيع ببساطة أن يعاقب ويجازي. وإله لين فقط لن يحتاج إليه أيضاً. كان يستطيع أن يغضّ النظر. وهذا سيكون مأساوياً بالقدر نفسه. لكن الله هو الاثنان معاً. هو يأخذ الذنب

4. إشعياء 43: 24، 25

5. رومية 3: 25، 26

بجدية. وهو يحب المذنب حباً كاملاً. إله كهذا يسلك طريقاً يبقى فيه الأمران صحيحين معاً. وهو في ذلك ليس ممزقاً بين هذا وذاك. هو المحبة، وكل ما يفعله محبة. إنها محبة عادلة ومقدسة.

الصليب هو هذا الطريق. وهو طريقه هو. لا طريقنا نحن.

4 لماذا الدم؟

كان الصليب أمراً دموياً. ولا نستطيع أن نتجاوز موضوع الدم. حتى لو بدا غريباً. على الأقل في بلادنا.

في الحياة اليومية نادراً ما نصادف الدم. عند جرح. عند الطبيب، حين يسحب عينة دم. أو عند التبرع بالدم. هناك نتعلم شيئاً ننساه بسهولة في غير ذلك: الدم يمكن أن ينقذ حياة. دم واحد يبقى آخر على قيد الحياة.

من يحضر اجتماع عبادة في الكنيسة لأول مرة، قد يسمع ترنية عن دم يسوع. فيتعجب. أو يشمئز. لماذا لا تستطيع المسيحية أن تستغني عن الدم؟ لماذا لا تكفي كلمة غفران؟

لنبدأ مرة أخرى بأنفسنا. ولد صغير يرسم بأقلام التلوين على مفروش الطاولة الأبيض الذي لأمه. تدخل الأم وترى ذلك. وتغفر له. فوراً، بلا عتاب. لكن المفروش يبقى ملوئاً. الغفران لا ينظفه. يجب أن يغسله أحد. والذي يغسله ليس الولد.

هذا هو الفرق بين الغفران والتطهير. الغفران يقول: لن أحسب هذا عليك. والتطهير يقول: لقد زال. ونحن نحتاج إلى الاثنين. في الفصل الثاني رأينا أن الخطية في داخلنا، مثل مرض. لهذا لا نحتاج فقط إلى واحد يقول: «انس الأمر». نحتاج إلى واحد يشفي.

وماذا عند الله؟ لقد علم شعبه إسرائيل هذا قبل يسوع بزمن طويل. بلغة غريبة علينا. لكن في ذلك الزمان كان الجميع يفهمونها. إنها لغة الذبائح.

الإسرائيلي الذي حمل نفسه ذنباً، كان يأتي بحيوان إلى المقدس، أي إلى المكان الذي كان الله يسكن فيه. كان يضع يده على رأس الحيوان. وهذا كان يعني: هذا الحيوان يقف الآن مكاني. ثم كان يُذبح. وكان الكاهن يأخذ الدم ويقدمه على المذبح. الدم كان هو الأمر الأساسي. لا القتل. بل الدم.

لماذا؟ لأن الدم في الكتاب المقدس يرمز إلى الحياة. في شريعة موسى يقول الله:

الحياة في الدم، وأنا أعطيتكم إياه على المذبح لكي يغطيكم.⁶

في هذه الجملة الكثير. الله يعطي الدم. لا يطالب به كما يطالب الدائن بماله. بل يعطيه كما يعطي الطبيب الدواء. وما يفعله الدم اسمه: التغطية. إنه يمتدّ فوق الذنب. وفي الوقت نفسه يزيله.

ماذا تقول هذه اللغة الغريبة؟ ثلاثة أمور:

الذنب أمر جدّي.

إنه يكلف حياة.

وهذه الحياة يعطيها الله.

لكن الحيوانات كانت مجرد صورة. الحروف لا يعرف لماذا يموت. لا يستطيع أن يحمل شيئاً على نفسه، لأنه لا يفهم شيئاً. والكتاب المقدس نفسه يقول إن دم الحيوانات لا يستطيع أن يرفع الذنب.⁷ لقد كان نوعاً من الدرس. أعلن الله به ما سيفعله يوماً ما فعلاً.

ثم فعله. لا بحيوان. بل بإنسان كان يعرف ما يفعل. وكان يريد. هو الذي كان ابن الله نفسه. هنا لم يأخذ الله دماً غريباً. بل أعطى دمه هو.

لهذا الدم. لا لأن الله يريد أن يرى الدم. بل لأن الذنب يكلف حياة. ولأن الله قرّر أن تكون هذه الحياة حياته هو. الآب والابن واحد تماماً في هذا العمل.

5 ماذا قال يسوع نفسه

وماذا عن يسوع نفسه؟ هل كان يعرف ما ينتظره؟

حين يموت إنسان في سنّ مبكرة، كثيراً ما يسأل الذين بقوا بعده: هل كان يشعر بذلك؟ هل قال شيئاً لا نفهمه إلا الآن؟ أحياناً يجد المرء رسالة. أو يتذكّر جملة مرّ عليها يومها مرور الكرام.

أما في حالة يسوع فيخطر ببال المرء شكّ آخر: أن موته لم يُعطَ معنى إلا بعد ذلك. واعظ تجاوز الحدّ. والأقوياء أزاخوه من طريقهم. وأصدقائه بحثوا بعد ذلك عن معنى لموت بلا معنى. هذا يحدث. الناس يفعلون ذلك حين يحزنون.

لكن الروايات تقول شيئاً آخر. لقد تكلم يسوع عن موته قبل أن يأتي. مرات عديدة. وهو نفسه أعطاه بالضبط معناه الذي يحرّر ويخلص.

ثلاث مرات قال لأصدقائه إنه سيذهب إلى أورشليم، وأنه لا بد أن يموت هناك. لا بد. لم يريدوا أن يسمعوا ذلك. بطرس، واحد منهم، اعترض عليه بشدة. لكن يسوع ثبت على كلامه.

مرة سمّى نفسه طبيباً. فقد لاموه لأنه كان يجلس إلى المائدة مع جبة الضرائب المكروهين، ومع آخرين سمعتهم سيئة. فأجاب:

ليس الأصحاء هم من يحتاجون إلى طبيب، بل المرضى.⁸

كان يعرف إلى من جاء. وقال أيضاً لماذا جاء:

ابن الإنسان لم يأت ليُخدَم، بل ليُخدم، وليبذل حياته فديةً عن كثيرين.⁹

«ابن الإنسان»: هكذا كان يسوع يسمّي نفسه. و«الفدية» هي المال الذي يُدفع ليُطلق أسير حراً. من الأسر، من العبودية. من حياة غارقة في الديون. يسوع يقول: حياتي هي الثمن. وأنتم الذين تصيرون أحراراً.

8. مرقس 2: 17

9. مرقس 10: 45

في الأمسية الأخيرة أكل مع أصدقائه عشاء الفصح. في هذا العيد يتذكر إسرائيل حتى اليوم التحرير من مصر. أخذ خبزاً، وكسره، وقال: هذا هو جسدي، من أجلكم. وأخذ الكأس التي فيها الخمر، وقال: هذا هو دمي، الذي يُسَفِّك من أجل كثيرين، لمغفرة الخطايا.¹⁰

لم يفهموا ذلك. إلا فيما بعد. لكنه قاله قبل أن يحدث. كان يعرف أنه سيموت. وكان يعرف من أجل من. وكان يعرف لماذا.

ثم جاءت الليلة في بستان جثسيماني، عند سفح جبل الزيتون. هناك نرى كم كلفه ذلك. أخذ معه ثلاثة من أصدقائه. وقال لهم إن نفسه حزينة جداً حتى الموت. ثم سقط على الأرض وصلى:

يا أبي، كل شيء مستطاع لك. أبعد عني هذه الكأس. ولكن ليس ما أريد أنا، بل ما تريد أنت.¹¹

الكأس صورة قديمة. عند أنبياء إسرائيل، الكأس هي ما يعطيه الله للإنسان ليشربه. نصيبه. مصيره. أحياناً تكون بركة. وأحياناً تكون أثقل ما يمكن أن يُقسَمَ للإنسان. رأى يسوع ما في كأسه. وطلب أن تعبر عنه. ثم شربها.

إذن لم يتعثر في طريقه إلى الموت. لقد رأى ما سيأتي. وطلب أن يُعفى منه. ومع ذلك مضى. وسنعود إلى هذا في الفصل السابع.

على الصليب، قبيل موته، قال كلمة أخرى. في اليونانية هي كلمة واحدة فقط. وفي الألمانية يحتاج المرء إلى ثلاث كلمات (Es ist vollbracht)، وبالعربية نقول: «قد اكمل». ¹² وهذا لا يعني: انتهى كل شيء وضاع. بل يعني: لقد تمّ العمل. المهمة أُنجِزت.

10. لوقا 22: 19، متى 26: 28

11. مرقس 14: 34-36

12. يوحنا 19: 30

6 ثلاث جمل صعبة

الآن يصبح الأمر صعباً.

ثلاث جمل يجب أن تقرأها ببطء.

أنت تعرف جملاً يجب أن تقرأها مرتين. تقرير من الطبيب. رسالة من دائرة حكومية. تقرأها، ثم تضعها جانباً، ثم تقرأها مرة أخرى. لأن أموراً كثيرة نتوقف عليها.

وتوجد جمل كهذه أيضاً عن موت يسوع. المسيحيون الأوائل لخصوه في جمل قليلة. ثلاث منها صعبة بشكل خاص. صعبة لأنها تحمل الكثير. وصعبة لأن من السهل أن يُساء فهمها.

الجملة الأولى: المسيح مات من أجل خطايانا، بحسب الكتب.¹³

هذه أقدم جملة عن الصليب في أيدينا. كتبها بولس نحو سنة 55 إلى المسيحيين في كورنثوس. ويقول معها إنه هو نفسه تسلّحها مَن كانوا مسيحيين قبله. فالجملة إذن تعود إلى السنوات الأولى بعد الصليب. لم يَخترعها أحد بعد أجيال.

من أجل خطايانا. لا: بسبب أعدائه. ولا: ليكون قدوة لنا. بل: من أجل خطايانا. موته له علاقة بما جاء في الفصل الثاني. بالمرض الذي في داخلنا. بما لم نعد نستطيع إصلاحه.

بحسب الكتب. وهذا يعني: هكذا كان مكتوباً من قبل في كتاب إسرائيل المقدس. المسيحيون الأوائل لم يَخترعوا الصليب من جديد. بل وجدوه هناك مرة أخرى. وأوضح ما يكون في نشيد كان عمره قرونًا. إنه يتكلم عن عبدٍ لله يُحتقر، ويتألّم، ويموت. ويقول:

لقد حمل مرضنا. من أجل معاصينا جُرح. والرب جعل ذنبنا جميعاً يقع عليه.¹⁴

الكلمة المستعملة هنا معناها فعلاً: المرض. إنه «مرض الخطية». التي يرى واحداً يأخذ إلى داخله ما يمرض به الآخرون. مثل الطبيب عند سرير الطفل.

13. 1 كورنثوس 15: 3

14. إشعياء 53: 4-6

قصص التحرير في كتاب إسرائيل المقدس تشير مسبقاً إلى الصليب. ما حدث هناك لشعب واحد، يحدث هنا من أجل كل البشر.

الجملة الثانية: الله جعل الذي لم يعرف خطية، خطيةً من أجلنا، لكي نصير برّ الله. ¹⁵

هذه أصعب الجمل الثلاث. يجب أن تقرأها جزءاً جزءاً.

الذي لم يعرف خطية: لم يكن ليسوع ذنب خاص به، ولم يتواطأ يوماً مع الظلم. جعله خطية: الله وضعه في المكان الذي تنتمي إليه الخطية. جعله واحداً مع ما نحن عليه. ليس المعنى: جعله خاطئاً. بل: سلّمه قضيتنا، كاملة. ثم يأتي الهدف: لكي نصير برّ الله. فيه هو. البرّ هنا لا يعني: أن تكون بلا أخطاء. بل يعني: أن تكون على وفاق مع الله. أن تنتمي إليه من جديد.

هذا تبادل. هو يأخذ ما لنا. ونحن نأخذ ما له. لكنه ليس تبادلاً كما في السوق، حيث يتبادل غريبان شيئاً ذهباً وإياباً. إنه تبادل فيه هو. نحن نؤخذ إلى داخله. إلى موته على الصليب. وإلى حياة قيامته.

كتب بولس مرة رسالة قصيرة إلى صديق. هذا الصديق هرب منه عبد. اسمه أونسيّمس. ربما أخذ معه شيئاً. تعرّف عليه بولس ويرسله إليه من جديد. ويكتب: إن كان مديناً لك بشيء، فاحسبه عليّ. أنا أدفع. ¹⁶ لا أحد يفكر هنا في العقاب. واحد يقف مكان الآخر. وهكذا يتكلم الكتاب المقدس أيضاً عن يسوع.

الجملة الثالثة: حمل خطايانا في جسده على الخشبة. ¹⁷

هذه الجملة تعرفها من الفصل الأول. إنها تذكر المكان. في جسده. على الخشبة، على الصليب. ليس في الأفكار، ولا في مكان ما في السماء. في يوم محدد، على عارضة خشبية محددة، في جسد يمكن أن ينزف.

21. 2 كورنثوس 5: 21

16. قليمون 18، 19

17. 1 بطرس 2: 24

وهي تذكر الفعل: حمل. وتنتمي إلى هذا صورة أخرى من لغة الذبائح. مرة في السنة، في يوم الكفارة العظيم، كان الكاهن يضع يديه كتيهما على رأس تيس حي. ويعترف عليه بكل ذنب الشعب. ثم يُطلق التيس إلى البرية. فيحمل الذنب بعيداً. إلى مكان لا يعود منه.¹⁸

هذه الكلمة نفسها موجودة في الجملة الثالثة: حمل. حمله بعيداً. يسوع مثل التيس الذي يحمل الذنب إلى الخارج. وهو في الوقت نفسه الذبيحة التي يطهر دمها. الأمران في شخص واحد. والجملة تستمر: لكي نموت عن الخطايا فنحيا للبر. لا يقول النص: لكي نشعر بتحسن. بل يقول: لكي نحيا بطريقة مختلفة. موت يسوع ليس فقط شيئاً حدث من أجلنا. بل من خلاله يجب أن يحدث شيء معنا وفينا أيضاً. ثم تأتي الجملة التي نعرفها: بجراحه شُفيتم. موته هو حياتنا.

7 كيف يخلصنا موته

الآن يأتي جواب. أو على الأقل محاولة جواب.

من فقد إنساناً يسأل: لماذا؟ لماذا هو؟ لماذا بهذه الطريقة؟ وغالباً لا يحصل على جواب. ويبقى الموت بلا معنى.

لكننا مع يسوع نسأل بشكل مختلف. لا نسأل فقط: لماذا مات؟ بل: ماذا حدث في موته؟ هذا هو السؤال الثالث من الفصل الأول. وأنا أحاول أن أقرب من الجواب في خمس خطوات.

أولاً: أخذه على نفسه.

لم يقع يسوع في حادث. بل دخل بإرادته. كان يعرف ما ينتظره في أورشليم. ومع ذلك ذهب. في الليلة التي سبقت موته صلى أن يعبر عنه هذا الأمر. ثم قال: ليس ما أريد أنا، بل ما تريد أنت.¹⁹

ما جاء بعد ذلك فعله البشر. خيانة من صديق. حكم كان محسوماً منذ البداية. ضرب، واستهزاء، وإعدام. لا صاعقة من السماء. بل أيدي بشر. ومع ذلك يقول الكتاب المقدس: هذا بالضبط كان طريق الله. الله بذل ابنه.²⁰ والأمران صحيحان. البشر فعلوا ذلك. والله سمح بأن يحدث، لأنه أراد هكذا. لأنه بهذه الطريقة كان يجب أن تحدث المعجزة التي لا نتصور، التي تكلم عنها الفصل الثالث.

ما قاساه يسوع هناك هو ما يحدث حين يسير عالمٌ بلا الله في طريقه. البذار تنمو. كذب، وظلم، وعنف، وموت. هذا هو حصاد الذنب والخطية. وقد جمع هو هذا الحصاد في جسده هو. ليس حصاده هو. بل حصادنا نحن.

ثانياً: استطاع أن يحمله لأنه لم يكن له.

19. مرقس 14: 36
20. رومية 8: 32، أعمال 2: 23

هنا تساعدنا صورة الطبيب من الفصل الأول. لماذا استطاع أن يأخذ المرض عن الطفل؟ لأنه لم يكن مريضاً به. جاء من الخارج سليماً. الطبيب الذي يَحْتَقُّ هو نفسه لا يستطيع أن يعيد النفس إلى طفل.

وهكذا هنا أيضاً. لم يكن ليسوع ذنب خاص به. لا كلمة كان عليه أن يسحبها. ولا باب أغلقه بعنف. لهذا استطاع أن يحمل ذنبا. البار من أجل الأثمة.²¹ هو يحمل. هو يأخذ ذنبا على نفسه. هو يقف تماماً في صف الخطاة. هذا يحدث على الصليب. فإذا فعل ذلك به في تلك الساعات؟

ثالثاً: أخذه معه إلى داخل موته.

لماذا كان يجب أن يكون موتاً؟

تذكر الفصل الثاني. الخطية لا تقع على الآخرين فقط، ولا هي خارجةٌ عني. إنها في داخلي. في حياتي. والخطية، هذا المرض القاتل الساكن في حياة ما، لا تنتهي إلا حين تنتهي هذه الحياة. لهذا لا يمكن إسقاطها ببساطة كما تُسْقَطُ فاتورة. الفاتورة يمكن أن تُمَزَّقَ. أما الحياة فلا.

يسوع أخذ خطيتنا إلى داخل حياته. كما أخذ الطبيب مرض الطفل. ثم بذل هذه الحياة للهوت. فذهب الذنب ومرضنا معه إلى المكان الذي ينتميان إليه. كما حمل التيس الخطايا إلى البرية، إلى أرض الموت. وهناك بقيت.

والكتاب المقدس يقول ذلك بهذه الجملة القاسية:

الله دان الخطية (وحاكمها) في جسد ابنه.²²

لا الابن. بل الخطية. لقد نالت حكمها في المكان الذي حملها إليه. هذا هو الجواب عن سؤال الفصل الثالث. الله لا يغض النظر. إنه يدين الخطية. ويخلص الخاطئ. وهكذا يصير موته من أجلنا الباب إلى الحياة.

والدم؟ في الكتاب المقدس يرمز الدم إلى الحياة التي تُبَدَل. لا إلى القسوة. إنه يقول: أنا أبذل حياتي من أجلكم.

21. 1 بطرس 3: 18

22. رومية 8: 3

أجرة الخطية ونتيجتها هي الموت. ورئيس الحياة يموت مكاننا، لكي يخلصنا من الموت الدائم الأبدي.

رابعاً: الموت لم يستطع أن يمسكه.

هنا تنتهي صورة الطبيب. الطبيب مات بالمرض، وانتهى الأمر عند هذا. أما يسوع فلم ينته الأمر معه عند هذا، فهو نفسه كان صالحاً وباراً تماماً. والموت الذي تنتهي فيه خطية الآخرين، ليس له حق ولا سبب أن يمسكه. وبعد ثلاثة أيام كان القبر فارغاً، بدون هذا، يكون كل ما سبق مجرد مثال جميل. ومعه يصير خلاصاً. وعن هذا يتكلم الفصل التالي.

خامساً: موته يُحسب موتنا.

الآن الخطوة التي تجعل الأمر قضيتي أنا. الكتاب المقدس لا يقول فقط: مات من أجلنا. بل يقول: نحن متنا معه.²³ وهذا ليس تعبيراً تقوياً، بل معناه: ما انتهى في موته هو كيان المريض الخاطئ. الإنسان الذي كنته مات هناك على الصليب، ووضع معه في القبر. وما خرج من قبره هو بداية ما يجب أن أصبحه. القديم قد مضى، والجديد قد صار.²⁴

لهذا تنتمي إلى هذا الموت كلمة صغيرة لا يجوز أن نقفز فوقها: «مع». ليس فقط من أجلنا. بل معه. من يتمسك به يؤخذ معه. إلى داخل موته، حيث يبقى الذنب والخطية. ثم إلى الخارج، إلى حياته، حيث لا يوجدان بعد.

كيف يمكن أن يحدث هذا الارتباط يحدث وقع قبل 2000 سنة، لا أستطيع أن أقول. وهنا أيضاً يصح: هذا هو طريق الله وحله.

ماذا يعني هذا.

فكر في ما لم تعد تستطيع إصلاحه. لا أذكرك به لكي تشعر بالسوء. إنه لم يصّر كأنه لم يحدث. ولا أحد يدعي ذلك. لكنه حمل بعيداً. حملة واحد استطاع أن يحمله. إلى مكان لا يعود منه أبداً.

وأنت؟

23. رومية 6: 4؛ 2 كورنثوس 5: 14

24. 2 كورنثوس 5: 17

لم تعد أنت الإنسان الذي يسكن فيه ذلك. لقد عبرت معه الموت. هذا ليس شعورًا. إنه حقيقة قررها الله. ويحق لك أن تقف على حقيقة الله هذه.

هل يبقى شيء لا أستطيع أن أشرحه؟ نعم. كيف تستطيع حياة واحدة أن تأخذ معها حيوات أخرى، عبر الموت، هذا يبقى سرًا. وكذلك ما عناه ذلك ليسوع في أعماقه. لكنه سر له تاريخ، ومكان، وقبر فارغ.

لا أستطيع في هذا الموضع إلا أن أقول: شكرًا يا يسوع، شكرًا!

8 لماذا ينتمي عيد القيامة إلى القصة

يوم الجمعة مات.

يوم الأحد كان القبر فارغاً.

من وقف يوماً عند قبر يعرف هذا الشعور. هنا انتهى شيء. نهائياً. تستطيع أن تحضر الزهور وتشعل الشموع. لكن الموت له الكلمة الأخيرة. أو هكذا يبدو على الأقل.

تخيل أن قصة يسوع انتهت يوم الجمعة. رجل صالح أعدم. أصدقاؤه محتبثون، خائفين أن يكونوا هم التاليين. وقبره مغلق بحجر ثقيل، وعليه حراس.

عندئذ كان سيكون لدينا مثال مؤثر. واحد مات من أجل قناعته. واحد صلي وهو على الصليب من أجل جلاديه. كان يمكن أن نَعْجَب به. وكان يمكن أن نحاول أن نفتدي به. لكن لم يكن أحد ليخلص. كان سيكون مثل الطبيب في الفصل الأول: أخذ المرض إلى نفسه، فقتله المرض.

بولس يقولها بلا مواربة:

إن لم يكن المسيح قد أُقيم، فأنتم بعدُ في خطاياكم.²⁵

بعدُ في خطاياكم. عندئذ لن يكون القبر المكان الذي بقي فيه الذنب. بل سيكون فقط المكان الذي بقي فيه هو أيضاً. وعندئذ يسقط كل ما كُتِب في هذا الكتاب.

لكن المسيحيين الأوائل يؤكِّدون شيئاً لم يُسمع بمثله. يقولون إنه لم يبقَ ميتاً. وإن القبر كان فارغاً في اليوم الثالث. نساءً وجدنه هكذا، في الصباح الباكر. ويقولون إنه التقى أصدقاءه. لا كروح. بل كواحد يأكل معهم، ويمكن لمس جراحه.

فإذا لو كان هذا صحيحاً؟ عندئذ يعني ذلك لسؤالنا ثلاثة أمور على الأقل.

أولاً: الله قال «نعم». نعم لما حدث يوم الجمعة. إن كان الله قد أقامه، فوته لم يكن مصيبة أصلحها الله فيما بعد. بل كان كل ذلك هو الطريق، والله صادق عليه. جملة قديمة تقول

الأمرين في نفس واحد: أسلم من أجل زلاتنا، وأقيم لكي نتف أُمَامَ الله أبراراً.²⁶ الموت يرفع الذنب. والقيامة تقول: هذا ساري المفعول إلى الأبد.

ثانياً: الذنب بقي في القبر. أما هو فلا. وهذه هي العلامة على أن الذنب لم يعد موجوداً. لو بقي شيء معلقاً، لكان من حق الموت أن يحتفظ به.

توضيح قصير: «الذنب بقي في القبر» صورة. ومعناها: لقد انتهى أمره، وأزيل، ولم يعد موجوداً.

ثالثاً: هو حيّ. الذي مات من أجلنا ليس ماضياً. إنه موجود. اليوم. وإلى الأبد. لقد مضى إلى الله، بجسد قيامة بشري لا يموت. ومن هناك سيأتي ثانيةً.

وبالمناسبة، قصة الخناق استمرت. في نهاية القرن التاسع عشر وُجد علاج. استُخرج من دم الخيول. فقد أعطيت الخيول سم المرض، أولاً كمية قليلة، ثم أكثر. فتغلبت عليه. وصار في دمها الآن ما أنقذ الأطفال. وهكذا نجا آلاف الأطفال.

كل تشبيه ناقص، وهذا أيضاً. لكنه يُظهر شيئاً. من اجتاز المرض وتغلب عليه، يمكن أن تشفي حياته الآخرين. يسوع أخذ مرض العالم إلى داخله، وغلب الموت. وحياته الآن هي لنا. يقول الكتاب المقدس:

سنخلص بحياته.²⁷

الشر ما زال موجوداً. والمرض أيضاً، والموت. لكن العلاج قد وُجد. ونهايتها أكيدة.

26. رومية 4: 25

27. رومية 5: 10

9 الخبر السار

وأنا؟

ماذا أستفيد من هذا؟

لقد قرأت هذا الكتاب حتى هنا. ربما بفضول. ربما بشكّ. ربما بالاثنين معاً. وهذا هو السؤال الأخير من الفصل الأول: كيف يصل هذا إليّ أنا؟ رجل مات قبل ألفي سنة وقام. ما علاقتي أنا بهذا؟

لا علاقة لي به، ما دمتُ أتفرّج فقط. وكل العلاقة، حالما أسلم نفسي له.

تخيّل رجلاً مريضاً مرضاً شديداً، وهو في الوقت نفسه متهم يقف أمام المحكمة. ينقصه أمران: البراءة والصحة. يمكن أن يبرأ ويبقى مريضاً. ويمكن أن يُشفى ويبقى متهماً. إنه يحتاج إلى الاثنين.

هكذا وضعنا. رأينا ذلك في الفصل الثاني. نحن نحتاج إلى الغفران. ونحتاج إلى نهاية للمرض الذي في داخلنا. والصليب، أو بالأحرى المصلوب، يهب الأمرين. لكن ليس كآلة بيع تضع فيها قطعة نقود. بل يعطيه كطبيب يقترب من السرير. لا بد من لقاء.

ماذا يجب على المريض أن يفعل؟ فكّر في الطفل من الفصل الأول. لم يكن يستطيع أن يفعل شيئاً، إلا أن يبقى ساكناً ويدع الطبيب يعمل. لم يكن عليه أن يفهم ما يفعله الطبيب. كان عليه فقط أن يسمح له.

للكتاب المقدس كلمة لهذا: الإيمان. هذه الكلمة صارت مستهلكة. كثيرون يسمعون فيها: أن تعتبر شيئاً صحيحاً لا يمكن إثباته. لكن المقصود شيء آخر. الإيمان يعني: أن تتكل عليه. أن تسلم نفسك لواحدٍ يستطيع أن يساعد. لا يجب أن تفهم كل شيء. فقط، وقبل كل شيء، هذا: هو الذي يغفر، ويشفي، ويخلص. يجب أن تسمح له بأن يقترب منك. أن تفتح له وتدعه يدخل.

وماذا يحدث بعد ذلك؟ جملة تقولها هكذا:

فإذ قد تبرّنا بالإيمان، لنا سلام مع الله.²⁸

«تبرّنا»: هذا هو حكم البراءة. ثم السلام. ليس هدنة ينتظر فيها كل طرف أن يبدأ الآخر من جديد. بل سلام. لقد انتهى الأمر. لا لأنّي أنا أنهيته. بل لأنه حمله في جسده على الخشبة.

ثلاثة أمور تنتمي إلى هذا. وليست ضغطاً عليك. بل هي دعوة.

الرجوع. وهذا لا يعني: أن تصير صالحاً أولاً، ثم تأتي. بل يعني: أن تغيّر الاتجاه. أن تكفّ عن محاولة شفاء نفسك بنفسك. أن تعترف بأن ذلك لا ينجح. الرجوع هو ما يُسمّى بلغة قديمة: التوبة.

المعمودية. المعمودية علامة تحدث بالجسد كله. يُغطّس الإنسان في الماء ثم يخرج منه. يقول الكتاب المقدس: لقد دُفّنّا معه.²⁹ الإنسان الذي كتته يوضع هناك حيث بقي الذنب. والذي يخرج ينتمي إلى ذاك الحيّ. وبالمعمودية يعترف الإنسان علناً بربّ جديد، بالملك يسوع.

الانتماء. لا أحد يسلك هذا الطريق وحده. من ينتمي إلى يسوع، ينتمي إلى جماعة فيها كثيرون غيره. أنت تحتاج إلى الآخرين. والآخرون يحتاجون إليك.

والآن النهاية. وهي ليست نهاية، بل بداية. الجملة التي بدأ بها كل شيء كانت: لقد مات من أجلنا. الآن أنت تعرف ماذا يقصد المسيحيون بها. لقد أخذ ذنبنا إلى داخله، لأنه لم يكن ذنبه. وحمله في جسده إلى داخل موته. وأخذنا معه إلى الداخل، وأخرجنا معه إلى الخارج. وهو حيّ.

توجد أمور لم تعد تستطيع إصلاحها. وهذا يبقى صحيحاً. لكن يوجد واحد حملها. هذا هو الخبر السار. الكتاب المقدس يسمّيه الإنجيل. وأنا أوّمن: إنه حق. وهو لك أنت.

28. رومية 5: 1

29. رومية 6: 4



**رجل يُعدم، قبل ألفي سنة. وأصدقاؤه يقولون فيما بعد:
كان ذلك من أجلنا.**

ماذا يعني هذا؟ هل يستطيع واحد أن يموت من أجل الآخرين؟ وما علاقة ذلك بي؟

هذا الكتاب يتتبع السؤال حتى النهاية. يقول ما الخلل فينا، وكيف هو الله حقًا، ولماذا يستطيع موتٌ أن يغيّر شيئًا.

الصليب أكثر من رمز. إنه المخرج إلى الحياة الأبدية.

لكل من يريد أن يعرف حقًا.